الإســلام
دعوة الحق والخير
وكيف شَوّه المُغْرضون جَمالَه

للكاتب
الإسلامي الكبير
السيد محب الدين الخطيب

دار الفتح
الشارقة

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م

موافقة وزارة الإعلام والثقافة
رقم اع ش / ١٠٤٢
تاريخ ٨ / ٥ / ١٩٩٤

الناشــر
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف : ٣٢٢٣٠٨ ـ ٣٢٢٥٢٤ـ ٦. فاكس رقم: ٣٢٢٥٢٦ ـ٠٦
ص. ب : ٢٣٤٢٤ الشـارقة ـ الإمارات العربية المتحدة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

إنّ الحمد للّه نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده اللّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله .

وبعد .

لم ينتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه إلاّ وقد بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في اللّه حق جهاده وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها . لا يزيغ عنها إلا هالك ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين بشهادة اللّه عز وجل في حجة الوداع : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ واستمر صحابته الكرام في حمل رسالة الإسلام إلى الناس كافة لم ترهبهم قوة القياصرة والأكاسرة ولم تثنِ هممهم العالية الجبارة وعورة الطريق ومشقات الفتح والجهاد وبذل النفس والنفيس ـ بالرغم مما

وقع من الفتن التي جمّدت مسيرة الدعوة والفتح - ولكن أصحابه استمروا في نشر الدين حتى وصل المحيط الأطلسي غرباً وأسوار الصين شرقاً خلال نصف قرن من الزمان دقوا فيها أبواب أوربه من الأندلس ومن القفقاس .

وخبت شعلة الجهاد وحلّ الكلام محل العمل ودخلت الفلسفة بعد ترجمة كتب اليونان وانحرف من انحرف وزاغ من زاغ بسبب بعدهم عن المنابع الصافية والمناهل العذبة كتاب اللّه عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد المعجزة الخالدة وسنة رسوله المصطفى ﷺ التي حفظها لنا علماء الأمة وسلفها الصالح فكان عصرهم العصر الذهبي للإسلام والمسلمين.

ولكن المنحرفين والمبطلين أهل الأهواء والبدع والزيغ شوهوا جماله بهرطقاتهم وتأولاتهم وفلسفاتهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً فيما حسّنوا من بدعهم وزعموا أنهم إنما يريدون الخير وخدمة الدين الإسلامي . ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ﴾ فالخير كل الخير من أتباع من سلف والشر كل الشر في ابتداع من خلف .

واللّه يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد للّه أولاً وأخيراً.

دار الفتح

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ يـأيُّهـا الـذيـنَ آمـنُوا كُونُوا قَوّامِيـنَ للّه شُهَدَاءَ بـالـقسـطِ، ولا يَجْرِمَنَّكـمْ شنَـآنُ قَومٍ عَلى ألاّ تَعْدلـوا، اعدِلُوا هُو أقـرَبُ للتَّقوى ، واتـقُوا اللّهَ إنّ الـلّهَ خبيرٌ بِمَا تعمَلُونَ﴾ (المائدة :٨)

إن ظهورَ هذا الدين الإسلامي ـ على فترة من تاريخ الإنسانية ـ كان حادثاً من أعظم أحداثها ، بل هو أعظم أحداثـها . فـقد جاء لإقامة الـحق : مـا كان مـنـه ، ومـا سيكون فكل حق يواجهه البشر في إئتلافهم واختلافهم وفي مـعامـلاتهم وأقـضيتـهم وأحـكامـهم ، وفي تفكيرهم واخـتـلافـهـم وبـحـوثـهـم ودراسـاتـهـم وأنـظمـتـهـم ، وفـي تـعاونـهـم علـى مـا فـيه خيرهـم ومـصـالـحـهـم ، فـهو من

الإسلام وحسبُ الإسلام مكانةً في تاريخ التشريع أن يسميه اللّهُ « دينَ الحق» ﴿هو الذي أرسلَ رسولَه بالهُدَى ودينِ الحق﴾ وكلُّ ما وافق العدل والقسط فالإسلامُ يدعو أهله إلى أن يقوموا به ، وأن يشْهد كلُّ واحد منهم بما يَعلمه منه ، وأن يعملوا جميعاً على بسط سلطان العدل ونشر لوائه في دار الإسلام ، وفي سائر آفاق الأرض ، كاملاً وافيا بأقصى ما يستطيعونه، ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم . فالحقُّ والعدل وإقامتهما والشهادة بهما عنصر الإسلام الأول، وخُلُقه المقدّم ، والسمِةُ التى يجب أن يتميز بها أهله : في طيبة قلب ، وصفاء فطرة ، وطهارة نفس ، وإيثارٍ لما فيه مرضاةُ الخالق وطمأنينة الخلق . والعدلُ في نظام الإسلام من التقوى ، والتقوى ميزان التفاضل بين المسلمين ، واللّه خبيرٌ بأهلها وبمن ينحرف عنها ، لا تخفى عليه منهم خافية .

خلفاء رسول الله ﷺ
في دعوته

وهذه الصورة المشرقةُ لهذا الإسلام الجميل هي التي تولى خاتمُ رسلُ اللّه تربية أصحابه عليها، وإعدادِهم ليخلفوه في دعوة الإنسانية إليها .ولم يودعّ ﷺ هذه الدينا ويغمضْ بَصرَه وراء سَجْف بيت عائشة أم المؤمنين المطلِّ على مسجده الشريف ليلتحق بالرفيق الأعلى ، إلا بعد أن أقرَّ اللّه عينيه الكريمتين باجتماع الصفوة المختارة منهم صفوفاً كالبنيان المرصوص ، مسلّمين أنفُسهم وقلوبهم للّه عز وجل فى عبادته وطاعته ، خلفَ عظيمهم وخليفته فيهم أبى بكر الصدّيق رضي اللّه عنه ، الذي قال فيه وفي صِنْوه عمر بن الخطاب أخوهما عليٌّ بن أبي طالب وهو يخطب

على منبر الكوفة : خيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وفي مثل لمح البصر - بعد فاجعة الإسلام والمسلمين بفراق أكرم خلق اللّه على اللّه - لمّ هؤلاء البَرَرَةُ الأخيارُ شَعثَهم فى جزيرتهم المباركة ، ووحدوا صفوفهم العامةَ للجهاد ،كما وحَّدوا فى أيام احتضار الرسول الأعظم ﷺ صفوفهم للصلاة فسارت رايات أبي بكر متوجهة إلى العراق والشام حاملة أمانات الرسالة المحمدية إلى أمم الأرض أدناها فأدناها، وسرعان ما كافأهم اللّه على جِهادهم الصادق بالنصر الموعود ، فتردَّدت أصداء دعوة (حيّ على الفلاح) في الآفاق التي خفقت فيها راياتُ قواد الخليفة الأول : أبي عبيدة ، وخالد ، وعمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان . وكان هؤلاء للشعوب التي اتصلوا بها معلمين ودعاةً وأصحاب رسالة من اللّه ورسوله إلى البلاد التى عرفت أقدارَهم ، وفتحت أبوابها وقلوب أهلها لتعليمهم وتوجيههم . وبعد أن قرَّت عينا أبي بكر بنصر

اللّه في بلاد الرافدين ورُبوع الشام اختاره اللّه لمجاورة الرسول الأعظم في الأخرى ، كما اختاره لصحبته في الدنيا ، فأخذ دفُةَ القيادة في سفينة الإسلام خليفته أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهو خيرُ هذه الأمة بعد أبي بكر بشهادة أخيهما أبي الحسن رضي اللّه عنهم جميعاً. ومضتْ قافلةُ الإسلام في طريقها ترعاها عينُ اللّه التي لا تنام ، فواصلت كتائبُ الدعوة المحمدية سيرَها إلى وادي النيل ، ومنه إلى شمال إفريقية ، كما توغلت إخواتها في مملكة كسرى إلى أقصى آفاقها . حتى إذا تآمرتْ على الدم العمري الشريف مكايدُ اليهودية والمجوسية ، واختار اللّه إليه مثال العدالة في الأرض ، يسر له مجاورة صاحبيه ، فارتضى المسلمون للخلافة المحمدية عليهم أطيبهم نفساً وأرحمهم قلباً وأنداهم يداً وأحفظهم للقرآن وأصبرَهم على بلاء الزمان ، صهرُ نبيهم على كريمتيه ، ولو كان له ﷺ ابنة ثالثة لآثره بها، كان

عثمانُ لهؤلاء الصفوة البررة من أصحاب رسول اللّه ﷺ أخاً مخلصاً ، ولأبنائهم أباً مشفقاً ، وكانت الأمة مدّة خلافتهِ في أرخى عيش وأسعد مجتمع كما شهد بذلك عالمان من كبار التابعين : الحسنُ البصري وصنُوهُ ابنُ سيرين ، بينما كانت رايات ذي النورين بأيدي المجاهدين الأبطال من رجاله تخفق فى آفاق قفقاسيا وما وراء الباب مما كان قوادُ الأكاسرة وأبطالهم لايطمعون في الوصول اليه . وهكذا عرفتْ أُممُ المشرق وأُمم المغرب هذا الإسلام من سيرة الصحابة وعدلهم ورفقهم وحزمهم واستقامتهم على طريق الحق الذي قامت به السماوات والأرض . وبذلك تحقق فيهم قول صاحب الرسالة العظمى ﷺ: «خير الناس القرن الذي أنا فيه ، ثم الثاني ، ثم الثالث » رواه الإمام الربّاني احمد بن حنبل الشيباني في مسنده (٣٥٩٤) من حديث عبيدة بن عمر السلماني قاضي أمير المؤمنين في الكوفة ، عن فقيه الصحابة

عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه ، ورواه الإمام محمد بن اسماعيل البخاري في صحيحه (الكتاب ٦٢: الباب الأول) من حديث عمران بن حصين حامل راية خزاعة في جيش النبي ﷺ يوم فتح مكة . ورواه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة سلام اللّه عليها . وهذا الحديث الشريف من أعلام نبوّة رسول اللّه ﷺ. لأن الإسلام لم يرَ زمانَ سعادةٍ وعزّةٍ واستقامة على الحق والخير كالذي رآه في زمان الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ، وتحديد ذلك إلى نهاية الدولة الأموية ، وقد يلتحق به زمن الخلفاء الأولين من بني العباس الذين تربوا في البيئة الأموية . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (ج ٧ ص ٤) : اتفقوا - أي اتفق أئمة الإسلام - أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يُقبلَ قوله مَن عاش الى حدود سنة ٢٢٠، ثم ظهرت البدع ، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً .

عصر الإسلام الذهبي

هذه المدَّة التي تنبَّأ عنها خاتم رسل اللّه ﷺ ، ونعتها بأنها « خير القرون » وكان ذلك من أعلام نبوته، هي عصور الإسلام الذهبية التي لم يرَ الإسلام أعظم منها بركة ، ولا أعزّ منها لأهله رفعة وسلطاناً ، ولا أصدق من جهاد قادتها جهاداً ، ولا أوسع من دعوتها إلى اللّه في أوسع الافاق من أرض اللّه ، وفيها انتشر حفظة القرآن في أنحاء المعمورة ورحل شباب التابعين إلى كل بقعة فيها صحابي يحفظ عن رسو ل اللّه ﷺ شيئاً من سنته السنيَّة ليتلقوها عنه قبل أن تموت بموته ، ثم رحل تابعوهم إلى كل بقعة فيها أحد من كبار التابعين يحفظ شيئاً عن الصحابة ليحملوا عنه ما حمله عن شيوخه من الصحابة ، وهكذا وصلت

أمانة السنة الى رجال التدوين - من أمثال مالك وأحمد وشيوخهم ومعاصريهم وتلاميذهم - غضةً يفوح منها عَبقُ النبوّة هديةً من الأمناء الحافظين الى الأمناء الحافظين ، فكان من ذلك أثمنُ تراث للمسلمين بعد كتاب اللّه عز وجل . فبهمة هؤلاء حفظ اللّه لنا هذه الكنوز ، وبسيوفهم فتح اللّه للإسلام هذه الممالك ، وبدعوتهم المباركة نشر اللّه دعوة الإسلام ، فكان لنا اليوم هذا العالم الإسلامي بأوطانه وشعوبه وما فيه من علوم وعلماء كانوا في عصور الإسلام الأولى ملح الأرض وزينة الدنيا ، وبصلاحهم وعودتهم الى اللّه في أيامنا والأيام الآتية سيعود إن شاء اللّه لهذا الإسلام مجدُه وسلطانه ، وستحيا بنهضتهم أنظمته وسننه ، وما ذلك على اللّه بعزيز .

ميراث الإنسانية

وكما أن أبناء السّراة وأهل السعة يرثون عن آبائهم أملاكهم وأموالهم فتكون لهم بذلك العزَّة والمكانة في الدنيا ، إلا أن يخدعهم عنها قُرناء السوء فيوهموهم أن سعادتهم ومتعتهم في تبديدها والتفريط بها ، كذلك هذا المجدُ الإسلامي الذي ورثناه عن الصحابة والتابعين لا نعلم لأمة من أمم الأرض مجداً يضارعه في مواريث الإنسانية . وأثمن هذا الميراث وأعظمه قدسيةً وبركةً اهتمام أبي بكر وعمر وعثمان رضي اللّه عنهم بجمع القرآن ، وتوحيد تلاوته ، وحفظه في المصاحف، ولو أن كل مسلم على وجه الأرض دعا لهم بالرحمة والرضا وعظيم المثوبة آناء الليل وأطراف النهار على ما أحسنوا به الى المسلمين من

هذا العمل العظيم لما وفيناهم ما في أعناقنا من منّة لهم سيتولى اللّـه عنا حسن مكافأتهم عليها ثم من أعظم كنوز هذا الميراث العظيم عناية كل صحابي بصيانة كل ما حفظه عن رسول اللّه ﷺ من أحاديثه وخطبه وسيرته وتصرفاته وتشريعه في أمره ونهيه وإقراره ، فأدّوا ـ رحمهم اللّه ورضي عنهم هذه الأمانة الى إخوانهم وأبنائهم والتابعين لهم بإحسان بما لم يعهدُ مثله عن أصحاب نبي غيره من الأنبياء السابقين، فكان ذلك من أعظم مواريث الإنسانيه كلها في الأخلاق والتشريع وتكوين الأمم الإجتماعي والتقريب بين البشر في طبقاتهم وأجناسهم وأوطانهم وألوانهم ، ولا يَغمط جيل الصحابة فيما قاموا به للإنسانيه من ذلك إلا ظالم يغالط في الحق إن كان غير مسلم ، أو زنديق يُبطن للإسلام غير الذي يُظهره لأهله إن كان من المنتسبين اليه ، وميراثنا الثالث من المواريث التي صارت إلينا عن الصحابة حُسنُ عَرضهم هذا الإسلام

على الأمم ممثلاً بأخلاقهم الإسلامية السليمة وأعمالهم الجليلة الرحيمة ، فحبّبوه بذلك الى الناس ، وعرّفوهم به من طريق القدوة والأسوة ، فكان ذلك سبب دخول الأمم في الإسلام إلى أقصى آفاق المعمورة المعروفة في أزمنتهم وهذه الفضيلة قد شارك عُمال الخلفاء الراشدين فيها من جاهد بعدهم من الصحابة والتابعين تحت رايات الخلفاء من قريش الذين كانوا من أعلام نبوّة النبي ﷺ أيضاً التنويهُ بهم في حديث جابر ابن سمرة في الصحيحين ، ورؤيا النبي ﷺ في قُباء عن جهاد معاوية رضي اللّه عنه في البحر ، ورؤياه الثانية يومئذ عن حملة ابنه في حصار القسطنطينية . وهؤلاء الخلفاء من قريش الذين ورد النص عنهم في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة هم الذين جاهدوا وجاهد رجالهم تحت كل كوكب ، وطَووْا آفاق الأرض يحملون هذه الدعوة إلى أقاصي المعمور من بلاد آسيا وإفريقية وأوربا . ومهما تنبض

قلوبنا بشكرهم والوفاء لهم والثناء على ما نشروا في الدنيا من ألوية جهادهم لن نوفِّيهم عُشر معشار ما كان ينبغي لنا أن نفعله ، وإلا فأين هي الدراسات العلمية الصحيحة التي قمنا بها لتدوين أمجادهم العظمى وبطولتهم الكبرى ، وأين هي المؤلفات العصرية التي كان ينبغي أن تكون في أيدي الشباب في جميع أقطار الإسلام ، والتي تجعل القارئ منا كأنه معاصر لتلك الأحداث مرافقٌ لكتائبها وأعلامها ، مشاركٌ بمشاعره ومداركه وخفقات قلبه في كل نصر أحرزه الإسلام في الدنيا على أيدي الصحابة والتابعين وأتباعهم الذين ألف الجاهلُ الزنديق ابن المطهر كتابه (منهاج الكرامة) ليملأه سباً لهم ، وذماً لجهادهم وتشويهاً لمحاسنهم ، وغمطاً لفضائلهم وكريم أخلاقهم وقلباً لحسناتهم بما يخجل محاربوهم مِن المجوس والروم والترك والديلم - أن يزعموا مثله لو أنهم دونوا أعمال أسلافنا عندما كانوا معهم في عداوة

الحرب وعداوة الدين ويوم كنا لا نزال أصحاب السلطان في اسبانيا كان أحبار النصارى من الإسبانيين يحتجون على الإمام ابن حزم بدعوى الروافض تحريفَ القرآن ، فكان يُضطر عند ردهِ عليهم أن يقول ما ذكره في كتاب (الفصل) (ج٢ص :٧٨) (وأما قولهم في دعوى الروافض تبديل القرآن فإن الروافض ليسوا من المسلمين) وأغلب الظن أن أحبار النصارى كانوا يحتجون بالأكاذيب الواردة في كتاب الكافي للكلينى ، كالذي ورد في ص: ٥٤منه (طبعة سنة١٢٧٨) عن جابر (الجعفي) قال: سمعت أبا جعفر يقول (ما ادعى احدُ من الناس انه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب ، وما جمعه وحفظه كما أنزله اللّه إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده) وفي (ص: ٥٧) عن أبى بصير قال : دخلت على أبي عبد اللّه ....إلى أن قال له أبوعبد اللّه :(وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام.....قلت وما مصحف فاطمة ؟

قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، واللّه مافيه من قرآنكم حرف واحد) وكتاب الكافي للكليني المشحون بمثل هذا الكفر المفترى يعتبره الشيعة في أحاديثهم بمنزلة صحيح البخاري في أحاديث المسلمين . أما ابن المطهر فيصفه الشيعة في كتابهم روضات الجنات بأنه « مفخرُ الجهابذة الأعلام، ومركز دائرة الإسلام ، آية اللّه في العالمين ، ونور اللّه في ظلمات الأراضين ، وأستاذ الخلائق في جميع الفضائل باليقين ، جمال الملة والحق والدين ......الخ»

الأسس التي يقوم عليها دين الرافضة

وفي رأيي أن كتاب ابن المطهر (منهاج الكرامة) ، وكتاب مُعاصره شيخ الإسلام ابن تيمية (منهاج الاعتدال) أو (منهاج السنة) ليس الغرض منهما المناظرة في اختلافات مذهبية يطمع منها ابن المطهر

في أن يجعل المسلمين روافض ، أو يطمع منها شيخ الإسلام ابن تيميه في أن يردّ الروافض إلى الإسلام ، فإن هذا وهذا من المستحيلات ، لأن الأسس التي يقوم عليها بنيان الدينين مختلفة من أصولها والعميق العميق من جذورها :

١ـ فنحن نقول بمشرِّع واحد ، ومعصوم واحد وهو النبي محمد ﷺ وأنه لامعصوم بعده ولا مشرَّع غيره. وهم يقولون بإثنى عشر معصوماً كلهم مصادر تشريع . ونحن نقول إن الحادي عشر من معصوميهم مات عقيماً عن غير ولد ، وأن أخاه جعفراً صفى تركته على أساس أنه لا ولد له ، وحجز نساءه وإماءه في مدة العدة والاستبراء ، حتى ثبت له ولنقباء الطالبيين في زمنه وبعده أن الحسن العسكري لا ولد له . وهم يقولون ـ وأنف التاريخ راغم ـ إن للحسن العسكري ولداً اختبأ في سرداب ببيت أبيه منذ أكثر من أحد عشر قرناً ، وأنه لا يزال حياً ، وأنه هو الحاكم

الشرعي في الإسلام ، وأن كل حاكم مسلم على وجه الأرض من ذلك الوقت الى الآن إنما هو متغلب مفتئت ويدَّعى الولاية ـ ظلماً وبلا حق ـ على من له الولاية عليهم من المسلمين . بل كل حاكم أوإمام أوخليفة مسلم قبل ذلك منذ توفى النبي ﷺ إنما كان متغلباً مفتئتاً ظالما وهو حاكم غير شرعي. وأن إمامهم الثاني عشر ـ الذي لم يلد ولن يولد ـ سيقوم في وقت ما ويعيد اللّه له خلق أبى بكر وعمر وكل خلفاء المسلمين وولاتهم فيحاكمهم ويصدر عليهم أحكاماً صارمة بما ظلموا واغتصبوا وزوَّروا وأجرموا .

٢ـ وأساس آخر افترق فيه دينُنا ودينهم ، وهو أن القرآن الذي في أيدي المسلمين منذ بضعة عشر قرناً إنما قام بأمر جمعه في هذه المصاحف وأشرف على ذلك أبوبكر وعمر وعثمان ورجال آخرون من علماء الصحابة ، وأن الأحاديث التي بني عليها التشريع في الإسلام إنما رواها هؤلاء الصحابة ، وأن علياً كان مع

إخوانه الصحابة في ذلك كله .وحُكمنا نحن على أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وسائر إخوانهم من الصحابة أنهم (الجيل المثالي) الفذ الذي عرفتة الإنسانية بكمال الصدق والاستقامة على طريق الحق ، وقد أوردنا آنفاً الحديث الذي صحّ عن النبي ﷺ أنه قال «خير الناس القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث » فالصحابة هم الذين تلقينا عنهم قرآننا ، وهم الذين رووا ماصحّ من أحاديث رسول اللّه ﷺ التي اعتمدنا عليها في تقرير شريعتنا . فإذا كانوا خير أمة محمد ﷺ كما ورد في حديث « خير الناس » واذا كان أعظمهم وأجلهم أبا بكر ثم عمر كما كان يقول أخوهما عليّ بن أبي طالب على منبر الكوفة ، فيكون اعتقادنا نحن المسلمين في الصحابة موافقاً للحديث النبوي وللثناء العلوي ولما تحقق فعلا من أحداث التاريخ ، ويكون تعديلُنا لهم تصحيحاً وتأييداً لاعتمادنا على كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ اللذين عرفناهما من طريق

هؤلاء البررة الأخيار رضي اللّه عنهم .أما ابن المطهر وسائر الشيعة الإمامية الذين سماهم الإمام زيد بن عليّ بن الحسين «رافضة» فإن حكمهم على أصحاب رسول اللّه ﷺ يخالف حكمنا عليهم .

٣ـ ومن الأسس التي يفترق فيها ديننا عن دينهم وشرعنا عن شرعهم أن الأحاديث النبوية التي هي ـ بعد كتاب اللّه ـ عمادُ التشريع في الإسلام نتحرّى نحن أخذها عن العدول الأمناء الضابطين الذين راقب نُقاد هذا الفن سيرتهم وأطوارهم ودقتهم في التلقيّ والتلقين فأسقطوا رواية من يتساهل في روايته ولو كان من كبار العبّاد المتفردين في التقوى والصلاح ، وميزوا بين من كان في صدر حياته من أهل الضبط والحفظ ، مضافاً ذلك إلى أمانته وعدالته ، إذا تقدَّمت به السن وصار يعرض له الخطأ والتخليط والنسيان ، فقبلوا ما كان يرويه عند سلامة شروط الرواية فيه ، وأسقطوا ما رواه بعد أن اختلّ فيه بعض تلك الشروط . أما الشيعة

فلا يعبأُون - في الحديث وروايته - بشيء من أمر الأمانة والعدالة والحفظ ، ويروون - في الكافي وأمثاله من كتبهم المعتبرة عندهم - عن أكذب الناس ، لأن مَدار التوثيق عندهم على العصبية والتشيُّع والحب والبغض . وقد نقلنا لك آنفاً بعض أحاديث من كتابهم الكافي تضمنت الطعن في صحة القرآن ، وليس بعد هذا محلٌّ للمراء والجدل فيما نحن بصدده . ولذلك لم يتردد ابن حزم في أن يقول لأحبار النصارى من الاسبانيين لما احتجوا عليه برأي الروافض في صحة القرآن : إن الروافض ليسوا من المسلمين » وأرفقُ من ذلك ماارواه أحمد بن محمد بن سليمان التسترى عن أبي زرعة الرازي أنه قال : « إذا رأيت الرجل ينتقص احداً من أصحاب رسول اللّه ﷺ فأعلم أنه زنديق ، لأن الرسول ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ،

والجرح بهم أولى فهم زنادقة »

٤ـ ومما افترقوا به عن المسلمين زعمهم أن الإسلام لا يكفي لتوجيه الإنسانية إلى سعادتي الدنيا والآخرة، وأن الأمة الإسلامية محكوم عليها بأن تكون في حُكم القاصر إلى يوم القيامة ، فتحتاج في حُكمها وأحكامها إلى أئمة معصومين بعد النبي ﷺ تكون لهم الولاية عليها ، أما المسلمون فيرون الدين الإسلامي أسمى من ذلك وأرفع ، وأن النفس الإسلامية أكرم على اللّه من ذلك وأصلح . وقد كان من آخر ما أنزله اللّه عز وجل على خاتم أنبيائه وأكمل رسله الآية الثالثة من سورة المائدة ﴿**اليومَ أكملتُ لكمْ دينَكُم وأتممتُ عليكمْ نعمتيِ ورضيتُ لكمُ الإسلامَ ديناً**﴾ .

فالإسلام ـ بكتابه ، وبالصحيح الثابت من سنة نبيه ﷺ هو الإمام المتّبع الذي لاتحتاج معه الأمة وأئمتها إلى معصوم بعد انتقال نبيها ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

وتلك هي (سنّة) الإسلام المعصوم في هذه الأمة الراشدة . ولذلك عُرف جمهور المسلمين في أدوار التاريخ بأنهم (أهل السُّنَّة) . أما الذين ذهبوا إلى أن الأمة قاصرة ، وإلى أن الإسلام لا يكفي لتوجيهها ، بل لابد معه من أئمة معصومين تكون لهم الولاية عليه وعلى الناس ، فقد عُرفوا في التاريخ بإسم (الإماميه) ولم يتولَّ الإمامة النافذة عليهم إلا إمام واحد كانوا مشاغبين له ومتمردين عليه ، وإن خطبه ورسائله وتصريحاته مملوءة من شكواه فيهم وتذمره منهم ، وخليفته الإمام الثاني الذي يقولون بعصمته بايع إمام المسملين في وقته عام الجماعة فخالفوه فيما اختاره إما طعناً منهم في عصمته ، أو ردّة عن ولائه وطاعته واتباعه . ولما انتهت الإمامة الشلاء المعطلة ـ بموت الحادي عشر منهم عقيما ـ لم يبق لهم إمام . وصار ينبغي لهم أن لا يكونوا إمامية ، فاخترعوا الإمام الذي لم يولد ولن يولد ، واعتبروه كالآلهة الوهمية في القرون

الخالية حياً لا يموت . وهذا المذهب في الإنكار على الإسلام أن يكون كافيا لحكم هذه الأمة اعتراف فاضح منهم بنقص الإسلام ، وبأن أهله في حكم القاصر ، وكتاب ابن المطهر الحلي يدور حول الدفاع عن هذه النظرة الخبيثة للإسلام وأهله ، كما أن كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية يدور حول الاحتجاج لكمال الإسلام وأن أهله يستطيعون أن يكونوا به من أهل الرشد . فلا يحتاجون هم ولا أئمتهم إلى أئمة معصومين بعد نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ، لأن في الإسلام الكفاية والكمال الذي وصفه الله في الآية الثالثة من سورة المائدة . وأن أئمة المسلمين - كسائر المسلمين - مأمورون بالعمل بهذا الإسلام الكامل ، وإن على المسلمين لأئمتهم الطاعة بالمعروف ، ولاطاعة لمخلوق في معصية الخالق .

٥- ومما يدخل في هذا الفارق بيننا وبين الرافضة إنكارهم على الإسلام انه (دين جماعة) وعلى

المسلمين أنهم أهل للاجماع فيما لم يرد فيه نصٌّ جليٌ من أمور الأمة أما نظامنا التشريعي معشر أهل (السنَّة) و(الجماعة) فيعترف بأن (إجماع) أعلام العلماء بالفقه والتشريع يعتبر دليلا على شرع اللّه ورسوله . لأن النبي ﷺ قال فيما رواه الحاكم وغيره عن ابن عباس رضي اللّه عنهما (لا يجمع اللّه أمتي على الضلالة أبدا) ولأنه ﷺ قال :(يد اللّه على الجماعة) ، وقال فيما رواه عنه أبو ذرّ (من خالف جماعة المسلين شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه) وقال : (عليكم بالسواد الأعظم ، ومن شذَّ شذَّ في النار) ولأن اللّه عز وجل قرن (سبيل المؤمنين) بطاعة رسوله في قوله عز وجل (النساء ١١٥:) ﴿ومن يشاققِ الرسولَ من بعد ماتبينَ له الهُدى ويتبعْ غيرَ سبيل المؤمنينَ نولِّهِ ما تولَّى ونُصلِهِ جهنمَ وساءتْ مصيراً﴾ ، وكأن مجرَّد مشاققة الرسول يوجب الوعيد ، فضمّ إليه الجنوح الى

غير سبيل المؤمنين ليدلّ على أنهما متلازمان ، وقال:(آل عمران: ١١٠) : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** ﴾ فاقتضى ذلك أنهم بمجموعهم وإجماعهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيجب حتماً أن لا يجتمعوا على ضلالة ، وأن يوجبوا ما أوجبه اللّه ورسوله ، ويُحرِّموا ما حرم اللّه ورسوله ولايجوز عليهم إجماع السكوت عن الحق ولو فعلوا لكانوا قد أمروا بالمنكر ونهوا عن المعروف ، وهو خلاف صريح للنص القرآني . بذلك وبما لا يتسع له المقام هنا من الأدلة الكثيرة . كان الإسلام عندنا (دين جماعة) ولذلك عُرف جمهور المسلمين في أدوار التاريخ بأنهم أهل (السنّة) و (الجماعة) بينما الرافضة لا يقولون بإجماع الأمة ، لأن الأمة عندهم قطيع لا نظام له ولاينبغي له أن يحيا إلا بقيادة معصوم غير النبي ﷺ وشريعته الكاملة .

٦- ونقطة أخيرة من نقاط الخلاف بيننا وبينهم أن

للمسلمين كعبة واحدة يتوجهون اليها بدعائهم وضراعاتهم وعند اتصال قلوبهم بربهم في صلاتهم وعبادتهم . أما هؤلاء الشيعة فيشركون مع الكعبة بيت اللّه الحرام كعباتٍ أخرى متعددة ، منها قبر المغيرة بن شعبة في النجف الذي زعموا - بعد دهر طويل من شهادة سيدنا عليّ ودفنه بين مسجد الكوفة وقصرها - أنه مدفون في قبر المغيرة بالنجف ، وقد اتخذوه كعبة لا يمكن أن يعرف قدرها عندهم إلا من شاهد تهافتهم عليها وما يصنعونه عندها . ومنها القبر المكذوب على سيدنا الحسين في كربلاء ويقول فيه شاعرهم :

هي الطفوف فَطُفْ سبعاً بمغناها

فمالمكة معنى مثلُ معناها .

أرضٌ، ولكنما السبع الشداد لها

دانت ، وطأطأ أعلاها لأدناها

فأين هذا الكفر القاتم السقيم من قول المعصوم ﷺ في أواخر ما قاله عندما شعر بدنو أجله (لعن اللّه

اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وقوله (اللهم لا تجعل قبري وَثناً يُعبد ، اشتدّ غضب اللّه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وقول أمير المؤمنين عليّ رضي اللّه عنه لأبي الهياج حيّان بن حصين الأسدي على ما رواه الإمام مسلم (في الكتاب ١١ الحديث ٩٣) من صحيحه (ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول اللّه ﷺ : أن لاتَدَع تمثالا إلا طَمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته) فإن كانوا محمديين فهذا الذي نقلناه من حديث خاتم رسل اللهّ محمد ﷺ هو من أصح ما صحّ عنه ، وإن كانوا إماميين فهذا ما كان يصنعه الإمام عليّ بأمر النبي ﷺ وهذا ما كان عليّ يأمر رجاله بأن يصنعوه. أما إذا كانوا على مذهب اليهود والنصارى فيما يتخذونه لقبور أنبيائهم وعظماء دينهم فهم وشأنهم، والمرء حيث يضع نفسه ...

والحمد للّه وحده . وصلى اللـه على سيدنا محمد.

وآل محمد وأصحاب محمد . وأزواج محمد ، وذرية محمد وسلم تسليما كثيرا .وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد للّه رب العالمين .

روضة الفسطاط

في النصف من شعبان سنة ١٣٧٤هـ